
مشاعر الإنسان
بين الكتمان والإعلان
الشيخ
سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي

بسم الله الرحمن الرحيم

مشاعر الإنسان

بين الكتمان والإعلان

الشيخ

سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي



مُقَدِّمَة

الْحَمْدُ للّه وَحْدَهُ،وَالصّلَاةُ وَالسّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيّ بَعْدَهُ.

أمّا بَعْدُ:

•فَبَيْنَ يَدَيْك يَا طَالبَ الْعِلْمِ–رَحِمَني اللّهُ وَإِيّاكَ–رِسَالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ عَنْوَنْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ(مَشَاعِر الْإنْسَانِ بَيْنَ الْكِتْمَانِ وَالْإِعْلَانِ)، أوْضَحُ فِيهَا بَعْضَ مَحَاسِنِ الْإسْلَامِ فِي تَوْثِيق رَابطَة الْوُدّ وَالْمَحبّة بَيْنَ الْمُسْلمين،وَهذَا الْمَوْضُوعُ مِنَ الْأَهَمّيّة بِمَكَان،وَمَعْلُومٌ أنّ الْمَوْضُوعَاتِ الْمُهِمّة تَحْتَاجُ إِلَى تَمْهِيدٍ فَأقُولُ مُمَهّدًا:

•إنّ الْإِنْسَانَ فِي نَظَرِ الْإِسْلَامِ اجْتِمَاعِيٌّ بِالْفِطْرَةِ،لَابُدّ لَهُ مِنْ مُجْتَمعٍ يَتَأَثّرُ بِهِ وَيُؤَثّرُ فِيهِ،مِنْ أجْلِ ذَلِكَ خَاطَبَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي مَقَامِ التّكَالِيفِ الشّرْعِيّة خِطَابَ الْجَمَاعَةِ لَا الْفَرْدِ،فَفِي أوّلِ نِدَاءٍ عَلَى مَائِدَة سُورَةِ الْبَقَرَةِ قَالَ اللّهُ تَعَالَى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ}.(البقرة:٢١).فَهَذَا نِدَاءٌ مِنَ اللّهِ لِلْبَشَرِ جَمِيعًا: أنِ اعْبُدُوا اللّهَ الّذِي رَبّاكُمْ بِنِعَمِه، وَخَافُوهُ وَلَا تُخَالِفُوا دِينَهُ؛ فَقَدْ أوْجَدَكُمْ مِنَ الْعَدَمِ، وَأوْجَدَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ؛ لِتَكُونُوا مِنَ الْمُتّقِينَ الّذِينَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ،وَعَلَى مَائِدَة سُورَةِ الْحُجُرَاتِ قَالَ اللّهُ تَعَالَى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ}.(الحجرات:١٣).

فَفِي هَذِه الْآيَة يُخْبِرُ اللّهُ تَعَالَى أنّهُ خَلَقَ بَنِي آدَمَ، مِنْ أصْلٍ وَاحِد، وَجِنْسٍ وَاحِد، وَكُلُّهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَيَرْجِعُونَ جَمِيعُهُمْ إِلَى آدَمَ وَحَوَاء،وَلَكِنّ اللّهَ تَعَالَى بَثّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً،وَفَرّقَهُمْ،وَجَعَلَهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ أيْ: قَبَائِلَ صِغَارًا وَكِبَارًا، وَذَلِكَ لِأجْلِ أنْ يَتَعَارَفُوا، فَإِنّهُمْ لَوِ اسْتَقَلّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِنَفْسِه، لَمْ يَحْصُلْ بِذَلِكَ، التّعَارُفُ الّذِي

يَترَتّبُ عَلَيْهِ التّنَاصرُ وَالتّعاوُنُ، وَالتّوارُثُ، وَالْقِيَامُ بِحقُوقِ الْأقَارِبِ، وَلَكِنّ اللّهَ جَعَلَهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ،لِأجْلِ أنْ تَحْصُلَ هَذه الْأمُورُ وَغَيْرُهَا ، ممّا يَتوَقّفُ عَلَى التّعَارُفِ،وَلُحُوقِ الْأنْسَابِ،وَلَكِنّ الْكَرَمَ بِالتّقْوى،فَأكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللّه، أتْقَاهُمْ، وَهُوَ أكْثَرُهُمْ طَاعَةً وَانْكِفَافًا عَنِ الْمَعَاصِي، لَا أكْثَرُهُمْ قَرَابَةً وَقَوْمًا، وَلَا أشْرَفُهُمْ نَسَبًا، وَلَكِنّ اللّهَ تَعَالَى عَلِيمٌ خَبِيرٌ،يَعْلَمُ مَنْ يَقُومُ مِنْهُمْ بِتَقْوَى اللّه،ظَاهِرًا وَبَاطِنًا

،مِمّنْ يَقُومُ بِذَلِكَ،ظَاهِرًا لَا بَاطِنًا ، فَيُجَازِي كُلًّا ، بِمَا يَسْتَحِقّ،وَفِي هَذه الْآيَة دَلِيلٌ عَلَى أنّ مَعْرِفَةَ الْأنْسَابِ،مَطْلُوبَةٌ مَشْرُوعَةٌ،لِأنّ اللّهَ جَعَلَهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ،لِأجْلِ ذَلِكَ،وَفِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ يَأتِي النّدَاءُ لِلجَمَاعَةِ الْمُؤمِنَة كَقَوْلِه تَعَالَى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}.(البقرة:٢٠٨).،فَهَذَا أمْرٌ مِنَ اللّه تَعَالَى لِلمُؤمِنِينَ أنْ يَدْخُلُوا { فِي السِّلْمِ كَافَّةً }أيْ:

فِي جَمِيعِ شَرَائِعِ الدّينِ،وَلَا يَتْرُكُوا مِنْهَا شَيْئًا،وَأنْ لَا يَكُونُوا مِمّنِ اتّخَذَ إلَهَهُ هَوَاهُ،إنْ وَافَقَ الْأمْرَ الْمَشْرُوعُ هَوَاهُ فَعَلَهُ،وَإنْ خَالَفَهُ تَرَكَهُ،بَلِ الْوَاجِبُ أنْ يَكُونَ الْهَوَى ،تَبَعًا لِلدّينِ، وَأنْ يَفْعَلَ كُلّ مَا يَقْدِرُ عَلَيْه، مِنْ أفْعَالِ الْخَيْرِ، وَمَا يَعْجَزُ عَنْهُ، يَلْتَزِمُهُ وَيَنْوِيه، فَيُدْرِكُهُ بِنِيّته. وَلَمّا كَانَ الدّخُولُ فِي السّلْمِ كَافّةً،لَا يُمْكِنُ وَلَا يُتَصَوّرُ إلّا بِمُخَالَفَة طُرُقِ الشّيْطَانِ قَالَ: { وَلَا تَتّبِعُوا خُطُوَاتِ الشّيْطَانِ } أيْ:

فِي الْعَمَلِ بِمَعَاصِي اللّه {إنّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ}وَالْعَدُوُّ الْمُبِينُ،لَا يَأمُرُ إلّا بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ، وَمَا بِه الضّرَرُ عَلَيْكُمْ.كَذَلِكَ كَانَتْ مُنَاجَةُ الْمُؤمِنِ لِرَبّه فِي صَلَاته بِلِسَانِ الْجَمَاعَة لَا بِضَمِيرِ الْمُفْرَد قَالَ تَعَالَى:{إيّاكَ نَعْبُدُ وَإيّاكَ نَسْتَعِينُ(٥)اهْدِنَا الصّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}.(الفاتحة:٥-٦)،مِنْ هُنَا تَظْهَرُ أنّ عِنَايَةَ الْإسْلَامِ بِالْإنْسَانِ عِنَايَةٌ بِالْمُجْتَمَعِ كُلّه،مِنْ أجْلِ ذَلِكَ وَجَبَ أنْ تَكُونَ مَشَاعِرُ الْإنْسَانِ تِجَاهَ الْآخَرِينَ وَاضِحَةً صَرِيحَةً لِتَوْثِيقِ أوَاصِرِ الْمَحَبّة وَالْمَوَدّة وَهَذَا مَا سَوْفَ نُوَضّحُهُ فِي هَذه الرّسَالَة،هَذَا وَقَدْ حَانَ أوَانُ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ فَأقُولُ وَبِاللّه التّوْفِيقُ.



•لَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثٌ كَثِيرَةٌ فِي السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ تَحثُّ عَلَى إِظْهَارِ مَشَاعِرِ الْحُبِّ وَالْوُدِّ لِتَوْثِيقِ الرَّوَابِطِ وَإِصْلَاحِ الْمُجْتَمعِ أَذْكُرُ مِنْهَا:



-(١)مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٥١٢٥)وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ بِرَقَمِ(٥١٢٥)مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ:أَنَّ رَجُلًا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنِّي لَأُحِبُّ هَذَا .فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{أَعْلَمْتَهُ ؟ قَالَ : لَا ! قَالَ : أَعْلِمْهُ قَالَ : فَلَحِقَهُ، فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ، فَقَالَ :أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ}.وَفِي رِوَايَةٍ:{أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فِي اللَّهِ، قَالَ: فَأَخْبَرْتَهُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَأَخْبِرْهُ. فَقَالَ: تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ،قَالَ:فَقَالَ لَهُ: فَأَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ. وَقَالَ خَلَفٌ فِي حَدِيثِهِ: فَلَقِيَهُ}.

-لَقَدْ حَثَّ الشَّرْعُ عَلَى الْمَحَبَّةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا؛ لِمَا فِيهَا مِنَ التَّوَادِّ وَالتَّرَاحُمِ وَبِنَاءِ الْمُجْتَمعِ عَلَى التَّآخِي وَالتَّرَابُطِ، وَالْمَعَانِي الطَّيِّبَةِ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُخْبِرُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ:(أَنَّ رَجُلًا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

-،فمَرّ بِهِ رَجُلٌ، فقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إنّي لَأحبُّ هَذَا)، أيْ: الرّجُلَ الّذي مَرّ، وَهُوَ أنّهُ أَحَبّهُ فِي اللّه، وَفِي طَلَبِ مَرْضَاة اللّه عزّ وَجلّ، فقَالَ لَهُ النّبيُّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ-:(أعْلَمْته؟)،أي:هَلْ أَخْبَرْتَهُ بِذَلك؟ فقَالَ الرّجُلُ:(لَا)! فَأمرَهُ النّبيُّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسلّمَ- بِإخْبَارِه، فقال: "أَعْلِمْه"، أي: أَخْبِرْه بِمَحبّتك له، فَلَحقَهُ الرّجُلُ لِيُدْرِكَهُ وَيُخْبِرَهُ كَمَا أمرَهُ- صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّم-،فقَالَ:(إنّي أُحِبُّكَ فِي اللّهِ)، فَقَالَ صَاحِبُهُ:(أَحَبّكَ الّذي أَحْبَبْتَني لَهُ)، أيْ:

أحَبّكَ اللّهُ تَعَالَى الّذي أَحْبَبْتَني لِأَجْلِه ، وَهَذَا دُعَاءٌ وَلَيْس خَبَرًا، وَلَكِنّهُ أخْرَجَهُ مَخرَجَ الْخَبَرِ الْمَاضِي تَحْقِيقًا لَهُ،وَحِرْصًا عَلَى تُحَقّقِه.وَفِي رِوَايَة:(ثُمّ رَجَعَ)، أيْ:الرّجُلُ الثّاني إِلَى النّبِيّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-فَسَأَلَهُ النّبِيُّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْه وسلّم- أيْ:

عمّا جَرَى بَيْنَهُمَا أوْ عَمّا أجَابَهُ بِه، (فَأخْبَرَهُ بِمَا قَالَ)، فَقَالَ النّبِيُّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّم-:(أَنْتَ مَعَ مَنْ أحْبَبْتَ)، أيْ: مُلْحَقٌ بِهِمْ وَدَاخِلٌ فِي زُمْرَتِهِمْ،(وَلَكَ مَا احْتَسَبْتَ)، أيْ: لَكَ أجْرُ مَا احْتَسَبْتَ مِنْ طَلَبِ الثّوَابِ مِنَ اللّهِ.



-(٢)وَأخْرَجَ الْإمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِه بِرَقَم(٥٤)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللّهُ تعالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ

رَسُولُ اللّه-صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ-:{وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِه لَا تَدْخُلُوا الْجَنّةَ حَتّى تُؤمنُوا وَلَا تُؤمنُوا حَتّى تَحَابُّوا أوَلَا أدُلُّكُمْ عَلَى شَيءٍ إذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أفْشُوا السّلَامَ بَيْنَكُمْ}.،وَفِي رِوَايَة:{لَا تَدْخُلُونَ الْجَنّةَ حَتّى تُؤمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتّى تَحَابُّوا، أوَلَا أدُلُّكُم عَلَى شَيءٍ إذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السّلَامَ بَيْنَكُمْ}.

-لَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ وَأُمَّتَهُ فَضَائِلَ الْأَعْمَالِ الَّتِي تَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ فِي الْآخِرَةِ، وَتَنْفَعُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا؛ بِاسْتِجْلَابِ الْمَوَدَّةِ بَيْنَهُمْ، كَمَا حَذَّرَنَا مِمَّا يُورِثُ التَّنَافُرَ وَالتَّشَاحُنَ، وَمِنْ أَسْبَابِ الْمَحَبَّةِ وَالتَّآلُفِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِفْشَاءُ السَّلَامِ الَّذِي يَتَضَمَّنُ إِظْهَارَ مَشَاعِرِ الْحُبِّ وَالْأُخُوَّةِ وَالْمَوَدَّةِ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُخْبِرُ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،أَنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ، وَأَنَّ التَّحَابَّ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ كَمَالِ الْإِيمَانِ؛ فَيَقُولُ:{لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا}، أَيْ: لَا يَكْتَمِلُ إِيمَانُكُمْ وَلَا يَصْلُحُ حَالُكُمْ فِي الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، ثُمَّ يَدُلُّنَا النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-عَلَى أَفْضَلِ وَأَكْمَلِ الْخِصَالِ الْمُسَاعِدَةِ عَلَى هَذَا النَّوْعِ مِنَ التَّحَابِّ فِي الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، وَهِيَ إِفْشَاءُ السَّلَامِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِإِظْهَارِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ؛وَالسَّلَامُ هُوَ التَّحِيَّةُ الَّتِي شَرَعَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ، فَلَا يَمُرُّ مُسْلِمٌ عَلَى مُسْلِمٍ -غَرِيبًا أَوْ قَرِيبًا- إِلَّا أَلْقَى عَلَيْهِ السَّلَامَ؛ فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ إِفْشَاءَ السَّلَامِ سَبَبًا لِلْمَحَبَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ سَبَبًا لِكَمَالِ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ إِفْشَاءَ السَّلَامِ سَبَبٌ لِلتَّحَابِّ وَالتَّوَادِّ، وَهُوَ سَبَبُ الْأُلْفَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُسَبِّبُ لِكَمَالِ الدِّينِ وَإِعْلَاءِ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ، وَفِي التَّهَاجُرِ وَالتَّقَاطُعِ وَالشَّحْنَاءِ التَّفَرِقَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ. وَصِيغَةُ تِلْكَ التَّحِيَّةِ -كَمَا عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ وَغَيْرِهِ-:

-وَفِي الْحَدِيثِ: الْأَمْرُ بِإِفْشَاءِ السَّلَامِ وَبَذْلِهِ لِلْمُسْلِمِينَ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ نَشْرِ الْمَحَبَّةِ وَالْأَمَانِ بَيْنَ النَّاسِ.

-وَفِيهِ:دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمَحَبَّةَ مِنْ كَمَالِ الْإِيمَانِ.

-وَفِيهِ:ضَرُورَةُ إِظْهَارِ مَشَاعِرِ الْمَحَبَّةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْأَمْرُ بِالْإِعْلَانِ بِهَا.



.(٣)وَأخْرَجَ الْإمَامُ أبو دَاوُد–رَحِمَهُ اللّهُ تَعالَى–في سُنَنه برَقَم(١٥٢٢)وصَحّحَهُ الشّيْخُ الْألْبَانِيُّ–رَحِمَهُ اللّهُ تَعالَى–في صَحِيحِ أبِي دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذ بْن جَبَلٍ–رَضِيَ اللّهُ تَعالَى عَنْهُ–:أنّ رَسُولَ اللّهِ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–أخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ:

{يَا مُعَاذُ، وَاللّهِ إنّي لَأحبُّكَ، وَاللّهِ إنّي لَأحبُّك، فَقَالَ: أوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنّ فِي دُبُرَ كُلِّ صَلَاة تَقُولُ: اللّهُمّ أعِنّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبادَتِكَ}.،وفي رِوَايَة:{يَا مُعَاذُ قُلْتُ : لَبّيْكَ ، قَالَ : إنّي أُحِبُّكَ قُلْتُ : وَ أنَا وَ اللّه ، قَالَ : ألَا أُعَلّمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولُهَا فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاتِكَ قُلْتُ:نَعَمْ ،قَالَ:قُلْ:اللّهُمّ أعِنّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ ، وَ حُسْنِ عِبادَتِكَ}.

–لَقَدْ كَانَ النّبِيُّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ– حَرِيصًا كُلّ الْحِرْصِ عَلَى النُّصْحِ لِأصْحَابِهِ رِضوانُ الله عَلَيهِمْ وتوصيل الخير لهم.

–وَمِنْ ذَلِكَ:مَا يُخْبِرُ مُعَاذُ بْنُ جَبَل–رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ–في هَذَا الْحَدِيث، أنّ رَسُولَ اللّه–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–أخَذَ بِيَدِهِ، أيْ: أمْسَكَهَا، مُظْهِرًا–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ– مَحَبّتَهُ لِمُعَاذ بِقَوْلِهِ مَرّتَيْنِ:{يَا مُعَاذُ، وَاللّهِ إنّي لَأحبُّكَ، وَاللّهِ إنّي لَأحبُّكَ}، وَهَذَا كَمَا أمَرَ النّبِيُّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–أنْ يُخْبِرَ الْمَرْءُ أخَاهُ أنّهُ يُحِبُّهُ فِي اللّهِ، وَفِيهِ أيْضًا تَهْيِئَةٌ وَتَرْغِيبٌ لِامْتِثَالِ مَا سَيَأتِي ذِكْرُهُ بَعْدُ.

ثُمّ أوْصَى النّبِيُّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ– مُعَاذًا بِقَوْلِهِ:{يَا مُعَاذُ، لَا تَدَعَنّ} أيْ: لَا تَتْرُكَنّ، فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاة، أيْ: آخِرِ كُلِّ صَلَاة وَقُبَيْلَ السّلَامِ مِنَ الصّلَاة، تَقُولُ:{اللّهُمّ أعِنّي}، أيْ: قَوّنِي وَارْزُقْنِي الْقُوّةَ مِنْ عِنْدِكَ بِشَرحِ الصّدْرِ، وَتَيْسِيرِ الْأمْرِ وَعُلُوّ الْهِمّة،{عَلَى ذِكْرِكَ}، أيْ: اجْعَلِ اللّسَانَ وَالْقَلْبَ دَائِمَي التّسْبِيحِ وَالذّكْرِ لِلّه عَزّ وَجَلّ.

{وَشُكْرِكَ}؛ أيْ اجْعَلِ الْقَلْبَ دَائِمَ الرِّضَا وَالشُّكْرِ لِنِعَمِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ،{وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ}، وَمِنْ حُسْنِ الْعِبَادَة: التّجَرُّدُ عِنْدَ الْعِبَادَةِ عَنْ كُلِّ مَا يُشْغِلُ عَنِ اللّهِ عَزّ وَجَلّ، وَالْإخْلَاصُ فِيهَا.

(٤)وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِه–كِتَابُ النّكَاحِ–بَاب حُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ مَعَ الْأَهْلِ بِرَقَمِ(٤٨٩٣)مِنْ حَدِيث أُمّ الْمُؤْمِنِين عَائِشَةَ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا–قَالَتْ:{ جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقَدْنَ أَنْ لَا يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنّ شَيْئًا قَالَتْ الْأُولَى:زَوْجِي لَحْمُ جَمَلٍ غَثّ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ لَا سَهْلٍ فَيُرْتَقَى وَلَا سَمِينٍ فَيُنْتَقَلُ.قَالَتْ الثّانِيَةُ: زَوْجِي لَا أَبُثّ خَبَرَهُ إِنّي أَخَافُ أَنْ لَا أَذَرَهُ إِنْ أَذْكُرْهُ أَذْكُرْ عُجَرَهُ وَبُجَرَهُ.قَالَتْ الثّالِثَةُ: زَوْجِي الْعَشَنّقُ إِنْ أَنْطِقْ أُطَلّقْ وَإِنْ أَسْكُتْ أُعَلّقْ. قَالَتْ الرّابِعَةُ: زَوْجِي كَلَيْلِ تِهَامَةَ لَا حَرّ وَلَا قُرّ وَلَا مَخَافَةَ وَلَا سَآمَةَ.قَالَتْ الْخَامِسَةُ: زَوْجِي إِنْ دَخَلَ فَهِدَ وَإِنْ خَرَجَ أَسِدَ وَلَا يَسْأَلُ عَمّا عَهِدَ. قَالَتْ السّادِسَةُ: زَوْجِي إِنْ أَكَلَ لَفّ وَإِنْ شَرِبَ اشْتَفّ وَإِنْ اضْطَجَعَ الْتَفّ وَلَا يُولِجُ الْكَفّ لِيَعْلَمَ الْبَثّ. قَالَتْ السّابِعَةُ: زَوْجِي غَيَايَاءُ أَوْ عَيَايَاءُ طَبَاقَاءُ كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ شَجّكِ أَوْ فَلّكِ أَوْ جَمَعَ كُلًّا لَكِ. قَالَتْ الثّامِنَةُ :زَوْجِي الْمَسُّ مَسُّ أَرْنَبٍ وَالرِّيحُ رِيحُ زَرْنَبٍ. قَالَتْ التّاسِعَةُ: زَوْجِي رَفِيعُ الْعِمَادِ طَوِيلُ النّجَادِ عَظِيمُ الرّمَادِ قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنْ النّادِ. قَالَتْ الْعَاشِرَةُ: زَوْجِي مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ مَالِكٌ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكِ لَهُ إِبِلٌ كَثِيرَاتُ الْمَبَارِكِ قَلِيلَاتُ الْمَسَارِحِ وَإِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ الْمِزْهَرِ أَيْقَنّ أَنّهُنّ هَوَالِكُ .قَالَتْ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: زَوْجِي أَبُو زَرْعٍ وَمَا أَبُو زَرْعٍ أَنَاسَ مِنْ حُلِيّ أُذُنَيّ وَمَلَأَ مِنْ شَحْمٍ عَضُدَيّ وَبَجّحَنِي فَبَجِحَتْ إِلَيّ نَفْسِي وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشِقّ فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ وَدَائِسٍ وَمُنَقّ فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أُقَبّحُ وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبّحُ وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنّحُ أُمّ أَبِي زَرْعٍ فَمَا أُمّ أَبِي زَرْعٍ عُكُومُهَا رَدَاحٌ وَبَيْتُهَا فَسَاحٌ ابْنُ أَبِي زَرْعٍ فَمَا ابْنُ أَبِي زَرْعٍ مَضْجَعُهُ كَمَسَلّ شَطْبَةٍ وَيُشْبِعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ طَوْعُ أَبِيهَا وَطَوْعُ أُمّهَا وَمِلْءُ كِسَائِهَا وَغَيْظُ جَارَتِهَا جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ فَمَا جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ لَا تَبُثّ حَدِيثَنَا تَبْثِيثًا وَلَا تُنَقّثُ مِيرَتَنَا تَنْقِيثًا وَلَا تَمْلَأُ بَيْتَنَا تَعْشِيشًا قَالَتْ:خَرَجَ أَبُو زَرْعٍ وَالْأَوْطَابُ

تُمْخَضُ فَلَقِي امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَان لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ يَلْعَبَان مِنْ تَحْت خِصْرِهَا بِرُمَّانَتَيْنِ فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًا رَكِبَ شَرِيًّا وَأَخَذَ خَطِّيًّا وَأَرَاحَ عَلَيَّ نَعَمًا ثَرِيًّا وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا وَقَالَ كُلِي أُمَّ زَرْعٍ وَمِيرِي أَهْلَكِ قَالَتْ: فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِيهِ مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آنِيَةِ أَبِي زَرْعٍ.قَالَتْ عَائِشَةُ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ}.

شرح الحديث :

–(أُنَاس مِنْ حُلِيٍّ أُذُنَيَّ) أيْ أَتَانِي بِالْحُلِي فِي أُذُنَيَّ فَهُوَ يَتَدَلَّى مِنْهَا .

–(وَمَلَأَ مِنْ شَحْمٍ عَضُدِي) مَعْنَاهُ أَسْمَنَنِي .

–(وَبَجَّحَنِي فَبَجِحَتْ إِلَيَّ نَفْسِي) مَعْنَاهُ وَعَظَّمَنِي فَعَظُمْتُ عِنْدَ نَفْسِي . يُقَالُ : فُلَانٌ يَتَبَجَّحُ بِكَذَا أَيْ يَتَعَظَّمُ وَيَفْتَخِرُ .

–(وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشِقٍّ ، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ) أَرَادَتْ أَنَّ أَهْلَهَا كَانُوا أَصْحَاب غَنَم لَا أَصْحَاب خَيْلٍ وَإِبِلٍ ، وَالْعَرَبُ لَا يُعَظِّمُونَ أَصْحَابَ الْغَنَمِ ، وَإِنَّمَا يُعَظِّمُونَ أَهْلَ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ .

–وَأَمَّا قَوْلُهَا : (بِشِقٍّ) يُحْتَمَلُ أَنَّهُ اسْمُ مَكَانٍ ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّ مُرَادَهَا أَيْ بِشَظَفٍ مِنْ الْعَيْشِ وَجَهْدٍ . وَقَوْلُهَا : (وَدَائِس) هُوَ الَّذِي يَدُوسُ الزَّرْعَ فِي بَيْدَرِهِ . يُقَالُ : دَاسَ الطَّعَامَ دَرَسَهُ .

–قَوْلُهَا : (وَمُنَقٍّ) الْمُرَادُ بِهِ الَّذِي يُنَقِّي الطَّعَامَ أَيْ يُخْرِجهُ مِنْ قُشُورِهِ ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ صَاحِبُ زَرْعٍ ، وَيَدُوسُهُ وَيُنَقِّيهِ .

–قَوْلُهَا (فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أُقَبَّحُ) مَعْنَاهُ لَا يُقَبِّحُ قَوْلِي فَيَرُدُّ ، بَلْ يَقْبَلُ مِنِّي .

-وَمَعْنَى (أَتَصَبّحُ) أَنَامُ الصُّبْحَةَ ، وَهِيَ بَعْدَ الصّبَاحِ ، أَيْ أَنّهَا مَكْفِيّةٌ بِمَنْ يَخْدُمُهَا فَتَنَامُ

-وَقَوْلُهَا : (فَأَتَقَنّح) مَعْنَاهُ أُرْوَى حَتّى أَدَعَ الشّرَابَ مِنْ شِدّةِ الرّيِّ .

-قَوْلُهَا : (عُكُومُهَا رَدَاحٌ) الْعُكُومُ هِيَ الْأَوْعِيَةُ الّتِي فِيهَا الطّعَامُ وَالْأَمْتِعَةُ ، وَرَدَاحٌ أَيْ عِظَامٌ كَبِيرَةٌ .

-قَوْلُهَا : (وَبَيْتُهَا فَسَاح) أَيْ وَاسِعٌ .

-قَوْلُهَا : (مَضْجَعُهُ كَمَسَلِّ شَطْبَةٍ) مُرَادُهَا أَنّهُ خَفِيفُ اللّحْمِ ، وَهُوَ مِمّا يُمْدَحُ بِهِ الرّجُلُ

-قَوْلُهَا : (وَتُشْبِعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ) الْجَفْرَةُ وَهِيَ الْأُنْثَى مِنْ أَوْلَادِ الْمَعْزِ ، وَهِيَ مَا بَلَغَتْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَفُصِلَتْ عَنْ أُمِّهَا . وَالْمُرَادُ أَنّهُ قَلِيلُ الْأَكْلِ ، وَالْعَرَبُ تَمْدَحُ بِهِ .

-قَوْلُهَا : (طَوْعُ أَبِيهَا وَطَوْعُ أُمِّهَا) أَيْ مُطِيعَةٌ لَهُمَا مُنْقَادَةٌ لِأَمْرِهِمَا .

-قَوْلُهَا : (وَمِلْءُ كِسَائِهَا) أَيْ مُمْتَلِئَةُ الْجِسْمِ سَمِينَةٌ .

-قَوْلُهَا : (وَغَيْظُ جَارَتِهَا) قَالُوا : الْمُرَادُ بِجَارَتِهَا ضَرّتُهَا ، يَغِيظُهَا مَا تَرَى مِنْ حَسَنِهَا وَجَمَالِهَا وَعِفّتِهَا وَأَدَبِهَا .

-قَوْلُهَا : (لَا تَبُثُّ حَدِيثَنَا تَبْثِيثًا) أَيْ لَا تُشِيعُهُ وَتُظْهِرُهُ ، بَلْ تَكْتُمُ سِرّنَا وَحَدِيثَنَا كُلّهُ .

-قَوْلُهَا : (وَلَا تُنَقّثُ مِيرَتَنَا تَنْقِيثًا) الْمِيرَةُ الطّعَامُ الْمَجْلُوبُ ، وَمَعْنَاهُ لَا تُفْسِدُهُ ، وَلَا تُفَرّقُهُ ، وَلَا تَذْهَبُ بِهِ وَمَعْنَاهُ وَصْفُهَا بِالْأَمَانَةِ .

-قَوْلُهَا : (وَلَا تَمْلَأُ بَيْتَنَا تَعْشِيشًا) أَيْ لَا تَتْرُكُ الْكُنَاسَةَ وَالْقُمَامَةَ فِيهِ مُفَرّقَةً كَعُشِّ الطّائِرِ ، بَلْ هِيَ مُصْلِحَةٌ لِلْبَيْتِ ، مُعْتَنِيَة بِتَنْظِيفِه .

-قَوْلُهَا : (وَالْأَوْطَابُ تُمْخَضُ) هُوَ جَمْعُ وَطْبٍ وَهِيَ سَقِيّةُ اللّبَنِ الّتِي يُمْخَضُ فِيهَا .

-قَوْلُهَا : (يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمّانَتَيْنِ) الْمُرَادُ بِالرُّمّانَتَيْنِ هُنَا ثَدْيَاهَا .

-قَوْلُهَا : (فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سِرِيًّا رَكِبَ شَرِيًّا) (سِرِيًّا) مَعْنَاهُ سَيِّدًا شَرِيفًا ، وَقِيلَ : سَخِيًّا ، (شَرِيًّا) هُوَ الْفَرَسُ الْفَائِقُ الْخِيَارُ .

قَوْلُهَا : (وَأَخَذَ خَطِّيًّا) هُوَ الرُّمْحُ .

-قَوْلُهَا : (وَأَرَاحَ عَلَيَّ نَعَمًا ثَرِيًّا) أَيْ أَتَى بِهَا إِلَى مَوْضِعِ مَبِيتِهَا . وَالنَّعَمُ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ ،وَالثَّرِيّ الْكَثِير مِنْ الْمَال وَغَيْره .

-قَوْلُهَا : (وَأَعْطَانِي مِنْ كُلّ رَائِحَة زَوْجًا) فَقَوْلُهَا (مِنْ كُلّ رَائِحَة) أَيْ مِمَّا يَرُوحُ مِنْ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْعَبِيد . وَقَوْلُهَا (زَوْجًا) أَيْ اِثْنَيْنِ ، وَيَحْتَمِل أَنَّهَا أَرَادَتْ صِنْفًا ، وَالزَّوْجُ يَقَعُ عَلَى الصِّنْف .

-قَوْلُهُ : (مِيرِي أَهْلَكِ) أَيْ أَعْطِيهِمْ وَافْضُلِي عَلَيْهِمْ وَصِلِيهِمْ .

قَوْلُهُ(كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ)فَمَقْصُودُهُ- صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- بِقَوْلِهِ :(كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ) يَعْنِي فِي حُسْنِ الْعِشْرَة ،وَكَرَمِ الصُّحْبَة ، وَدَوَامِ الْمَحَبَّةِ وَالْأُلْفَةِ ، وَأَكّدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ-صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:(إِلّا أَنَّهُ طَلّقَهَا وَإِنّي لَا أُطَلّقُكِ) .

-فَيَا أَيُّهَا الزَّوْجُ اسْتَمِعْ لِزَوْجَتِكَ فَهَذَا مِنْ حُسْنِ الْعِشْرَةِ وَسَبَبِ السّكَنِ وَالْمَوَدّةِ وَكَسْبِ قَلْبِهَا،وَأَظْهِر حُبّكَ لَهَا وَحِرْصَكَ عَلَيْهَا.



(٥)وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ

(٣٦٩١)وَصَحّحَهُ الشّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِ التِّرْمِذِيّ بِرَقَمِ(٣٦٩١)مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهَا-قَالَتْ:كَانَ رَسُولُ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- جَالِسًا فَسَمِعْنَا لَغَطًا وَصَوْتَ صِبْيَانٍ ،فَقَامَ رَسُولُ اللّهِ-

صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–فإذا حَبَشيّةٌ تزفُنُ والصّبْيانُ حوْلَها ، فقَالَ :{ يا عَائشَةُ تَعالَي فَانْظُري . فَجئتُ فَوَضعْتُ لَحيَيّ عَلَى مَنْكِبِ رَسُولِ اللّه ، فَجَعَلْتُ أنْظُرُ إلَيْهَا مَا بَيْنَ الْمَنْكِبِ إلَى رَأسه ، فقَالَ لي : أمَا شَبِعْت ، أمَا شَبِعْت . قَالَتْ : فَجَعَلْتُ أقُولُ لَا لأنْظُرَ مَنْزِلَتِي عِنْدَهُ إذْ طَلَعَ عُمَرُ ، قَالَتْ : فَارْفَضّ النّاسُ عَنْهَا : قَالَتْ :فَقَالَ رَسُولُ اللّه–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ– : إنّي لأنْظُرُ إلَى شَيَاطِينِ الْجِنّ وَالْإنْسِ قَدْ فَرّوا مِنْ عُمَرَ قَالَتْ فَرجَعْتُ}.

–الْإِسْلَامُ دِينُ يُسْرٍ؛ فَقَدْ رَفَعَ اللّهُ بِهِ الْحَرَجَ وَالضّيقَ وَالْإِثْمَ عَنِ النّاسِ، وَوَسّعَ عَلَيْهِمْ دُونَ تَجَاوُزٍ.

–وَفي هَذَا الْحَدِيث تَقُولُ أمّ الْمُؤمِنِينَ عَائشَةُ–رَضِيَ اللّهُ تَعالَى عَنْهَا–:(كَانَ رَسُولُ اللّه–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–جَالسًا،فَسَمِعْنَا لَغَطًا)، أيْ: صَوْتًا شَدِيدًا لَا يُفْهَمُ،(وَصَوْتَ صِبْيَانٍ)، أيْ: يُصَاحِبُ هَذَا الصّوْتَ أصْوَاتُ الصّبْيَان، (فَقَامَ رَسُولُ اللّه–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–،أيْ:لِيَنْظُرَ مَا سَبَبُهُ،(فَإذَا حَبَشيّةٌ)، أيْ: جَارِيَةٌ أوْ أمَةٌ سَوْدَاءُ، وَحَبَشيّةٌ نِسْبَةٌ إلَى بِلَادِ الْحَبَشَة،(تَزْفِنُ)، أيْ: تَرْقُصُ، (وَالصّبْيَانُ حَوْلَهَا)،أيْ:يَنْظُرُونَ إلَيْهَا،وَلَعَلّ الرّقْصَ الْمُرَادُ بِهِ مَا جَاءَ في رِوَايَةِ الصّحيحَيْنِ:(وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ يَلْعَبُ السّودَانُ بِالدّرَقِ وَالْحِرَابِ)، فَقَالَ النّبيّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–:(يَا عَائشَةُ، تَعَالَيْ فَانْظُرِي)، أيْ: أنّ النّبِيّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ– هُوَ الّذي ابْتَدَأهَا وَدَعَاهَا لِتَنْظُرَ وَهَذَا دَلِيلُ حُبّ النّبِيّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–لَهَا وَحِرْصِه عَلَى مَا يُدْخِلُ السّرُورَ عَلَيْهَا، (فَجِئْتُ فَوَضَعْتُ لَحْيَيّ)، وَاللّحْيُ مَنْبَتُ الْأسْنَان، وَالْمُرَادُ بِه أسْفَلُ الْوَجْه وَالذّقَن، (عَلَى مَنْكِبِ رَسُولِ اللّه– صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–)، وَالْمَنْكِبُ: مُجْتَمَعُ رَأْسِ الْكَتِفِ وَالْعَضُدِ، قَالَتْ:(فَجَعَلْتُ أنْظُرُ إلَيْهَا مَا بَيْنَ الْمَنْكِبِ إلَى رَأسِه)، أيْ: تَنْظُرُ إلَى الْحَبَشيّةِ فِيمَا بَيْنَ مَنْكِبِ وَرَأْسِ رَسُولِ اللّه– صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–، وَبَقِيّةُ جَسَدِهَا خَلْفَهُ، (فَقَالَ لِي)، أيْ: بَعْدَ مُدّةٍ مِنَ الْمُشَاهَدَةِ وَالنّظَرِ، (أمَا شَبِعْتِ، أمَا شَبِعْتِ)، يُكَرّرُهَا النّبِيّ–صَلّى اللّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ لتَقْضِي نَهْمَتَهَا مِنَ الْمُشَاهَدَةِ،قَالَتْ عَائشَةُ-رَضِيَ اللّهُ تعالَى عَنْهَا-:(فَجعَلْتُ أقُولُ: لَا) فتكَرَّرَ النَّفْيُ مَعَ تكْرَارِ النَّبِيِّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -لَهَا: أشَبِعْتِ، (لأنْظُرَ مَنْزِلَتِي عِنْدَهُ)، أيْ: كَانَ قَصْدِي مِنْ قَوْلِي:(لَا) أنْ أعْلَمَ نِهَايَةَ مرْتَبَتِي وَغَايَةَ مَحَبَّتِي عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،(إذْ طَلَعَ عُمَرُ)، أيْ: بَيْنَمَا هِيَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ظَهَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عِنْدَ تِلْكَ الْحَبَشِيَّةِ، قَالَتْ:(فَارْفَضَّ النّاسُ عَنْهَا)

،أيْ:تَفَرَّقَ النّاسُ الْمُشَاهِدُونَ الّذِينَ كَانُوا حَوْلَ الْحَبَشِيَّةِ؛ لمَهَابَةِ عُمَرَ وَالْخَوْفِ مِنْ إنْكَارِهِ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:(إنّي لأنظُرُ إلَى شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالْإنْسِ قَدْ فَرُّوا)، أيْ: هَرَبُوا، (مِنْ عُمَرَ)؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْمَهَابَةِ، وَلِخَوْفِهِمْ مِنْ إنْكَارِهِ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا الْأمْرُ مَبْنِيٌّ عَلَى اتِّصَافِ النَّبِيِّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِصِفَةِ الْحِلْمِ وَسَعَةِ الصَّدْرِ فِي الْأُمُورِ الْمُبَاحَةِ، وَأنَّ عُمَرَ -رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ- يَتّصِفُ بِصِفَةِ الْحَمِيّةِ فِي الدِّينِ،وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-ذَلِكَ بِاعْتِبَارِ كَوْنِ الْأمْرِ كَانَ فِي صُورَةِ اللّهْوِ وَاللّعِبِ الْمُبَاحِ، وَلَيْسَ فِيهِ رَقْصٌ مُحَرّمٌ، وَإلّا فَكَيْفَ أقَرّهُ النَّبِيُّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟! فَإنّهُ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَا يَتْرُكُ أحَدًا يَسْتَبِيحُ مَا لَا يَجُوزُ بِحَضْرَتِهِ وَلَا يَنْهَاهُ؛ لأنّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ عَلَيْهِ التّبْلِيغَ وَالْبَيَانَ؛وَقَدْ بَيّنَتْ هَذِهِ الرِّوَايَةُ أنَّ النّاظِرِينَ إلَى الْحَبَشِيّةِ هُمُ الصِّبْيَانُ وَعَائشَةُ-رَضِيَ اللّهُ تعالَى عَنْهَا-تَنْظُرُ مَعَهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ رِجَالٌ يَنْظُرُونَ، وَلَيْسَ فِي الرِّوَايَةِ تَصْرِيحٌ بِأنَّ النَّبِيَّ -صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَنْظُرُ إلَى رَقْصِ الْحَبَشِيّةِ، وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ عَنْ عَائشَةَ أيْضًا، أنَّ أبَا بَكْرٍ- رَضِيَ اللّهُ تعالَى عَنْهُ (دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا جَارِيَتَانِ فِي أيّامِ مِنًى تُغَنّيَانِ وَتُدَفّفَانِ وَتَضْرِبَانِ، وَالنَّبِيُّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُتَغَشٍّ بِثَوْبِهِ فَانْتَهَرَهُمَا أبُو بَكْرٍ، فَكَشَفَ النَّبِيُّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ: دَعْهُمَا يَا أبَا بَكْرٍ؛ فَإنّهَا أيّامُ عِيدٍ، وَتِلْكَ الْأيّامُ أيّامُ مِنًى)؛ فَبَيّنَتْ هَذِهِ الرِّوَايَةُ أنَّ النَّبِيَّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَإنْ أقَرَّهُ وَسَمِعَهُ فَإنّهُ لَمْ يَنْظُرْ إلَى الْمُغَنّيَتَيْنِ. أوْ لَعَلّ هَذِهِ الْمَرْأةَ الْحَبَشِيّةَ كَانَتْ جَارِيَةً صَغِيرَةً، وَالنَّبِيُّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَدْ رَخّصَ فِي أوْقَاتِ الْأفْرَاحِ- كَالْأعْيَادِ وَالنّكَاحِ- فِي الضّرْبِ بِالدُّفُوفِ وَالتّغَنّي بِالْأشْعَارِ

الْحَسَنَةِ وَمَا كَانَ فِي مَعْنَاهَا للجَوَارِي الصُّغْرَيَاتِ . وَقِيلَ: ذِكْرُ رَقْصِ الْمَرْأَةِ الْحَبَشِيَّةِ فِي هَذِه الرِّوَايَةِ شَاذٌّ؛ لِمُخَالَفَته جَمِيعَ الرِّوَايَاتِ الْأُخْرَى فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا، الَّتِي فِيهَا أَنَّ الرَّاقِصِينَ كَانُوا رِجَالًا، وَرَقْصُ الْحَبَشَةِ حِينَئِذ مَحْمُولٌ عَلَى اللَّعِبِ بِالسِّلَاحِ وَالْحِرَابِ، وَمَا فِيهِ إعَانَةٌ عَلَى الْجِهَادِ.قَالَ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:(سَأَلْتُ مُحَمَّدًا عَنْ هَذَا الْحَدِيث فَلَمْ يَعْرِفْهُ وَاسْتَغْرَبَهُ) انْتَهَى مِنْ (علل التِّرمذيّ:ص٣٧٢).قَالَتْ عَائِشَةُ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا: (فَرَجَعْتُ)، أَيْ: مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى دَاخِلِ بَيْتِي وَحُجْرَتِي، وَكَانَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ أَمَرَ عُمَرَ بِتَرْكِهِمْ فِي مُتَابَعَةِ اللَّعِبِ، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ عَظَمَةِ خُلُقِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَغَلَبَةِ صِفَةِ الْحِلْمِ وَالْجَمَالِ عَلَيْهِ.

-وَفِيهِ: مَشْرُوعِيَّةُ اللَّهْوِ الْمُبَاحِ كَمَا حَدَّدَهُ الشَّرْعُ، وَأَنَّ فِي الْإِسْلَامِ فُسْحَةً بِمَا لَا يُخِلُّ بِثَوَابِتِ الدِّينِ.

-وَفِيهِ: مَنْقَبَةٌ ظَاهِرَةٌ لِعُمَرَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-.



(٦)وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِه بِرَقَمِ

(٣٦٦١)مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِه حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِه، فَقَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ، فَسَلَّمَ وَقَالَ : إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ

إِلَيْكَ، فَقَالَ: يَغْفِرُ اللّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، ثَلَاثًا، ثُمّ إنّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأَتَى مَنْزِلَ أبي بَكْرٍ، فَسَأَلَ: أثَمّ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا:لَا،فَأَتَى إِلَى النّبيِّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–فَسَلّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النّبيِّ –صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–يَتَمَعّرُ،حَتّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ، وَاللّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، مَرّتَيْنِ، فَقَالَ النّبيُّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–:إِنّ اللّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي؟ مَرّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا}.

–لَا شَكّ أنّ الصّحَابَةَ–رِضْوَانُ اللّهِ عَلَيْهِمْ– بَشَرٌ، وَيَعْتَرِيهِمْ مَا يَعْتَرِي الْبَشَرَ مِنْ غَضَبٍ وَخِلَافٍ، وَلَكِنّهُمْ سُرْعَانَ مَا يَرْجِعُونَ إِلَى الْحَقّ.

–وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَرْوِي أَبُو الدّرْدَاءِ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ– أَنّهُ كَانَ جَالِسًا عِنْدَ النّبيِّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ– ذَاتَ مَرّةٍ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ –رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ– وَهُوَ مُمْسِكٌ بِطَرَفِ ثَوْبِهِ، رَافِعًا إِيّاهُ حَتّى أَظْهَرَ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ النّبيُّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–: {أَمّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ}، أَيْ: خَاصَمَ، وَالْمَعْنَى: دَخَلَ فِي غَمْرَةِ الْخُصُومَةِ، فَأَخْبَرَهُ أَبُو بَكْرٍ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ– أَنّهُ حَدَثَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ– شَيْءٌ، أَيْ: مُحَاوَرَةٌ، {فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ}،أَيْ:أَغْضَبَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ، فَانْصَرَفَ عَنْهُ مُغْضَبًا

،ثُمّ إِنّ أَبَا بَكْرٍ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ– نَدِمَ عَلَى مَا بَدَرَ مِنْهُ تُجَاهَ عُمَرَ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ–،فَطَلَبَ مِنْ عُمَرَ –رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ– أَنْ يَغْفِرَ لَهُ وَيَعْفُوَ وَيَصْفَحَ، فَرَفَضَ عُمَرُ؛ وَلِذَلِكَ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى النّبيِّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–، فَلَمّا سَمِعَ النّبيُّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–مَا أَخْبَرَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ–، قَالَ: {يَغْفِرُ اللّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ}، ثَلَاثَ مَرّاتٍ، تَقْدِيرًا لِأَبِي بَكْرٍ وَحُبًّا لَهُ، ثُمّ إِنّ عُمَرَ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ– نَدِمَ عَلَى ذَلِكَ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ –رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ–؛ لِيُزِيلَ مَا وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصّدّيقِ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ–، فَسَأَلَ أَهْلَهُ:{أَثَمّ أَبُو بَكْرٍ؟} أَيْ: أَهُنَا أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا

لَهُ:لَا، فَأتَى إلَى النّبيّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ– فَسَلّمَ عَلَيْه، فَلَمّا رَآهُ جَعَلَ وَجْهُ النّبيِّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ– {يتمعّرُ}، أيْ: تَذْهَبُ نضَارَتُه منَ الْغَضَب، حَتّى {أشْفَقَ}، أيْ: خَافَ أبُو بَكْرٍ–رَضيَ اللّهُ تعَالَى عَنْهُ–، وَخَافَ أنْ يَنَالَ عُمَرَ–رَضيَ اللّهُ تعَالّى عَنْهُ– منْ رَسُولِ اللّه–صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ–مَا يَكْرَهُهُ،{فَجَثا}، أيْ: بَرَكَ أبُو بَكْرٍ– رَضيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ– عَلَى رُكْبَتَيْه مُتَذَلّلًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّه، وَاللّه أنَا كُنْتُ أظْلَمَ منْهُ في ذَلكَ، وَأعَادَ أبُو بَكْرٍ–رَضيَ اللّهُ تعَالَى عَنْهُ– هَذَا الْقَوْلَ؛ لأنّهُ هُوَ الّذي بَدَأ عُمَرَ–رَضيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ–،فَقَالَ النّبيُّ –صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ– حينَها:{إنّ اللّهَ بعَثني إلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أبُو بَكْرٍ: صَدَقْتَ، وَوَاسَاني بنَفْسه وَمَاله}،وَفي هَذَا الْقَوْل مَا لَا يَخفَى منْ تَعْديد النّبيِّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ– لفَضَائلِ أبي بَكْرٍ– رَضيَ اللّهُ تعَالَى عَنْهُ؛ فَقَدْ صَدّقَهُ حينَ كَذّبَهُ النّاسُ،وَسَانَدَ النّبيّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ– بنَفْسه وَمَاله؛ حَيْثُ هَاجَرَ مَعَهُ، وَكَانَ الْمُشْركُونَ يُريدُونَ قَتْلَهُ، وَقدّمَ لَهُ الْمَالَ الْكَثيرَ منْ أجْلِ نَشْرِ دَعْوَة الْإسْلَامِ؛ لذَا قَالَ النّبيُّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ– في آخرِ الْحَديث:{فَهَلْ أنْتُمْ تَاركُو لي صَاحبي؟}، وَكَانَتْ هَذه الْعبَارَةُ منَ النّبيّ –صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ– سَبَبًا في عَدَمِ إيذَاءِ أبي بَكْرٍ–رَضيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ– بَعْدَ ذَلكَ.

–وَفي الْحَديث: مَدْحُ الْمَرْءِ في وَجْهه إذَا أُمنَ عَلَيْه الاغْترَارُ.

–وَفيه:سُؤالُ الاسْتغْفَارِ، وَالتّحَلّلُ منَ الظُّلْمِ.

–وَفيه: مَنْقَبَةٌ ظَاهرَةٌ للصّدّيق–رَضيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ–.



(٧)وَأخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَاريُّ–رَحمَهُ اللّهُ تَعَالَى–في صَحيحه برَقَمِ

(٣٩٠٤)منْ حَديثِ أبي سَعيدٍ الْخُدْريّ -رَضيَ اللّهُ تعالَى عَنْهُ-:

أنّ رَسولَ اللّه-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-جَلَسَ عَلَى الْمنْبرِ فَقَال:{إنّ عَبْدًا خَيّرهُ اللّهُ بَيْنَ أنْ يُؤْتِيَه منْ زَهْرةِ الدُّنْيا ما شاء، وبَيْنَ مَا عِنْدَه،فاخْتارَ ما عِنْدَهُ. فَبَكى أبُو بَكْرٍ وَقال:فدَيْناكَ بآبَائنَا وأُمّهَاتنَا

، فَعجبْنَا لَهُ، وقَالَ النّاسُ: انْظُرُوا إلَى هَذَا الشّيْخِ؛ يُخْبرُ رَسُولُ اللّه-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-عَنْ عَبْدٍ خَيّرَهُ اللّهُ بَيْنَ أنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائنَا وَأُمّهَاتنا! فَكَانَ رَسُولُ اللّه-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-هُوَ الْمُخيّرَ،وكَانَ أبُو بَكْرٍ هُوَ أعْلَمَنَا به.وَقَالَ رَسُولُ اللّه-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-: إنّ مِنْ أمَنّ النّاسِ عَلَيّ في صُحْبَتِه وَمَالِه أبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتّخذًا خَليلًا منْ أُمّتِي لاتّخَذْتُ أبَا بَكْرٍ، إلّا خُلّةَ الإسْلام، لَا يَبْقَيَنّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إلّا خَوْخَةَ أبِي بَكْرٍ}.

-كَانَ أبُو بَكْرٍ-رَضيَ اللّهُ تعالَى عَنْهُ- أقْرَبَ النّاسِ إلَى النّبِيّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-؛ فَهُوَ رَفِيقُهُ فِي هِجْرَته، وَهُوَ أعْظَمُ هَذِه الْأُمّة إيمَانًا وَتَصْدِيقًا، بِحَيْثُ لَوْ وُزِنَ إيمَانُهُ بإيمَان النّاسِ كُلّهِمْ، لَرَجَحَ إيمَانُهُ بإيمَانِهِمْ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُخْبرُ أبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ -رَضيَ اللّهُ تعَالَى عَنْهُ- أنّ رَسُولَ اللّه-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فِي مَرَضِه الْأخِيرِ الّذي مَاتَ فيه، وَذَلكَ فِي الْعَامِ الْحَادي عَشَرَ مِنَ الْهِجْرَةِ بالْمَدينة الْمُنوّرة، فَقَالَ:{إنّ عَبْدًا خَيّرَهُ اللّهُ بَيْنَ أنْ يُؤْتِيَه مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ}، وَالْمَعْنَى: يُعْطِيه مِقْدَارَ مَا أرَادَ مِنْ طُولِ الْعُمرِ وَالْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا، وَالتّمَتّعِ بِهَا، وَزَهْرَةُ الدُّنْيَا: نَعِيمُهَا وَزِينَتُهَا،{وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ}،أيْ:اخْتَارَ وَفَضّلَ مَا عِنْدَ اللّه سُبْحَانَهُ، ممّا أعَدّ لَهُ مِنْ أنْوَاعِ النّعِيمِ الْمُقِيمِ، وَلَذّة اللّقَاءِ، وَالنّظَرِ إلَى وَجْهِه الكَرِيمِ، فلمّا سَمعَ أبُو بَكْرٍ-رَضيَ اللّهُ تعَالَى عَنْهُ-ذَلكَ الْقَوْلَ مِنَ النّبِيّ -صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-بَكَى، وَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائنَا وَأُمّهَاتنَا! فَتَعَجّبَ الْحَاضِرُونَ مِنْ قَوْلِ أبِي بَكْرٍ-رَضيَ اللّهُ تعَالَى عَنْهُ- وَبُكَائِه؛ إذْ لَمْ يَفْهَمُوا مِنْ كَلَام

النّبيّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ– مَا يَسْتَدْعِي ذَلِكَ الْبُكَاءَ وَالْقَوْلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ– رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ–،وَلَكِنّ الصّدّيقَ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَدْ فَهِمَ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ مُفَارَقَتَهُ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ– الدُّنْيَا، وَأَنّ الْعَبْدَ الْمُخَيّرَ هُوَ رَسُولُ اللّهِ –صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–، فَبَكَى لِذَلِكَ، وَقَالَ مَا قَالَ.

فَلَمّا مَاتَ النّبِيُّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–، فَهِمَ النّاسُ مَقْصِدَهُ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ– مِنْ كَلَامِهِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ –رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ–:{فَكَانَ رَسُولُ اللّهِ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ

–هُوَ الْمُخَيّرَ}،أَيْ:هُوَ الّذِي خَيّرَهُ اللّهُ بَيْنَ نَعِيمِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ لِقَائِهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ– أَعْلَمَ النّاسِ بِالنّبِيّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–. وَقَدْ قَالَ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–فِي حَقّ أَبِي بَكْرٍ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ–:{إِنّ مِنْ أَمَنّ النّاسِ عَلَيّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ}، وَمَعْنَاهُ: أَنّهُ أَكْثَرُهُمْ جُودًا وَسَمَاحَةً لَنَا بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، وَلَيْسَ هُوَ مِنَ الْمَنّ الّذِي هُوَ الاعْتِدَادُ بِالصّنِيعَةِ؛لِأَنّهُ أَذًى مُبْطِلٌ لِلثّوَابِ، وَلِأَنّ الْمِنّةَ لِلّهِ وَلِرَسُولِهِ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–فِي قَبُولِ ذَلِكَ، وَفِي غَيْرِهِ. وَقَالَ:{وَلَوْ كُنْتُ مُتّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمّتِي لَاتّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، إِلّا خُلّةَ الْإِسْلَامِ}،وَالْمَعْنَى: لَوْ كُنْتُ مُتّخِذًا صَدِيقًا أَنْقَطِعُ إِلَيْهِ، وَأُفَرّغُ قَلْبِي لِمَوَدّتِهِ،لَاتّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ. وَقِيلَ:أَصْلُ الْخُلّةِ: الافْتِقَارُ وَالانْقِطَاعُ، فَخَلِيلُ اللّهِ: الْمُنْقَطِعُ إِلَيْهِ،وَقِيلَ:لِأَنّهُ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–قَصَرَ حَاجَتَهُ عَلَى اللّهِ تَعَالَى، وَقِيلَ: الْخُلّةُ: الاخْتِصَاصُ،وَقِيلَ:الاصْطِفَاءُ،وَالنّبِيُّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–لَيْسَ لَهُ خَلِيلٌ؛ لِأَنّ اللّهَ تَعَالَى قَدِ اتّخَذَهُ خَلِيلًا، وَهَذَا لَا يُنَافِي مَا ذَكَرَهُ الصّحَابَةُ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ–مِنَ اتّخَاذِهِمْ إِيّاهُ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–خَلِيلًا؛ إِذْ لَا يُشْتَرَطُ فِي الْخُلّةِ أَنْ تَكُونَ مِنَ الطّرَفَيْنِ، وَلَوِ اتّخَذَ النّبِيُّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–أَحَدًا خَلِيلًا لَاتّخَذَ أَبَا بَكْرٍ –رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ– ؛لِأَنّهُ أَهْلٌ لِذَلِكَ لَوْلَا الْمَانِعُ؛ فَإِنّ خُلّةَ الرّحْمَنِ تَعَالَى لَا تَسَعُ مُخَالّةَ شَيْءٍ غَيْرِهِ أَصْلًا،

وَلَمْ يَكُنْ بيْنَ–النَّبيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–وَبيْنَهُ–رَضِيَ اللَّهُ تَعالَى عَنْهُ–إلَّا أُخوَّةُ الْإِسْلَامِ.

وَقَالَ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{لَا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إلَّا خَوْخَةُ أَبي بَكْرٍ}، وَالْخَوْخَةُ: الْبَابُ الصَّغِيرُ، وَكَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ فَتَحُوا أَبْوَابًا فِي دِيَارِهِمْ إِلَى المَسْجِدِ،فَأَمَرَ النَّبيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–بسَدِّهَا كُلِّهَا إلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–؛ لِيتميَّزَ بذَلكَ فَضْلُهُ.

–وَفي الْحَدِيثِ: مَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ لِأَبي بَكْرٍ– رَضِيَ اللَّهُ تَعالَى عَنْهُ–.

–وَفِيهِ:تَعْرِيضٌ بِالْخِلَافَةِ لِأَبي بَكْرٍ بَعْدَ النَّبيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

–وَفِيهِ:أَنَّ الْمَسَاجِدَ تُصَانُ عَنْ تَطَرُّقِ النَّاسِ إِلَيْهَا، إلَّا لِحَاجَةٍ مُهِمَّةٍ.

–وَفِيهِ: التَّرْغِيبُ فِي اخْتِيَارِ مَا فِي الْآخِرَةِ عَلَى مَا فِي الدُّنْيَا.

–وَفِيهِ: شُكْرُ الْمُحْسِنِ، وَالتَّنْوِيهُ بِفَضْلِهِ، وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ.

•فَلَا تَكْتُمُوا مَشَاعِرَكُمْ تُجَاهَ مَنْ تُحِبُّونَ فَقَدْ يَرْحَلُونَ قَبْلَ سَمَاعِهَا،فَأَعْظَمُ الرِّثَاءِ مَدِيحٌ وَمَشَاعِرُ حِبٍّ وَوُدٍّ تَأَخَّرَ عَنْ مَوْعِدِهِ حَيَاةً كَامِلَةً،فَأَحْسِنُوا إِلَى مَنْ تُحِبُّونَ فَإِنَّ الشَّوْقَ بَعْدَ الْمَوْتِ لَا يُطَاقُ،اشْبَعُوا مِنْ بَعْضِكُمْ فَالْمَوْتُ يَأْتِي بَغْتَةً،وَاسْأَلُوا عَنْ بَعْضِكُمْ فَلَا أَحَدٌ يَعْلَمُ مَتَى سَيَكُونُ آخِرُ تَوَاصُلٍ أَوْ لِقَاءٍ،وَعَلَيْكُمْ بِالتَّغَافُلِ فَإِنَّ كَلِمَةَ (يَا لَيْتَ) لَنْ تُعِيدَ الَّذِي رَحَلَ،وَاجْتَنِبُوا الْمُعَاتَبَاتِ الْمُفْرِطَةَ لِأَنَّهَا تَرِثُ الْكَرَاهِيَةَ،وَتَسَامَحُوا وَكُونُوا مُتَحَابِّينَ دَائِمًا،وَاغْتَنِمُوا اللَّحظَاتِ الْجَمِيلَةَ فَإِنَّهَا قَدْ لَا تَعُودُ،

فَمِنْ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ:(الْمَوْتُ لَا يُوجِعُ الْأَمْوَاتَ، بِقَدْرِ مَا يُوجِعُ الْأَحْيَاءَ وَيُخَلِّفُ دَاخِلَ أَرْوَاحِهِمُ الْكَثِيرَ مِنَ النَّدَمِ، رُبَّمَا عَلَى إِسَاءَةِ اقْتَرَفُوهَا يَوْمًا مَا لِمَنْ فَقَدُوا، أَوْ رُبَّمَا عَلَى شُعُورٍ قَدْ كَتَمُوهُ فِي دَاخِلِهِمْ كَانَ كَفِيلًا بِأَنْ يُزْهِرَ بَسَاتِينًا مِنَ الْفَرَحِ دَاخِلَ مَنْ اخْتَطَفَهُ

الْمَوْتُ مِنهُمْ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْكَثِيرِ منَ الشّوْقِ، الشّوْق مَعَ حِرْمَانِ الوُصُولِ، وَلَكُمْ أنْ تَتَخَيّلُوا مِقْدَارَ الاحْتِرَاقِ الّذِي يَجْتَاحُ الرُّوحَ وَقْتَهَا!

•لَا تَنْتَظِرُوا الْمَوْتَ لِتُعَبّرُوا عَنْ مَشَاعِرِكُمْ لِمَنْ تُحِبُّونَ، عَبّرُوا عَنْ حُبّكُمْ، وَاطْلُبُوا رُؤيَةَ مَنْ تَشْتَاقُونَ إِلَيْهِ، اعْتَذِرُوا لِمَنْ تَعْتَقِدُونَ أَنّكُمْ خَدَشْتُمْ شَيْئًا فِي رُوحِهِ يَوْمًا مَا، لَا تُؤجّلُوا اتّصَالًا هَاتِفيًّا،وَلَا تَتَرَاجَعُوا عَنْ كِتَابَةِ رَسَالَةٍ نَصّيّةٍ تَبُوحُ بِالْكَثِيرِ مِنَ الْمَشَاعِرِ الْفَيّاضَةِ دَاخِلَ قُلُوبِكُمْ، فَقَدْ يُبَاغِتُكُمُ الْمَوْتُ فَجْأَةً وَيَخْطَفُ مِنْكُمْ مَنْ تُحِبُّونَ، هَذِهِ الدُّنْيَا أَقْصَرُ مِمّا نَعْتَقِدُ، أَقْصَرُ بِطَرِيقَةٍ مُخِيفَةٍ!فَهِيَ تَغُرُّ وَتَضُرُّ وَتَمُرُّ !فَرِفْقًا بِقُلُوبِ أَحْبَابِكُمْ، فَالْمَوْتُ لَنْ يَسْتَأْذِنَ قَبْلَ زِيَارَتِكُمْ، وَلَنْ يَنْفَعَ نَدَمُكُمْ وَقْتَهَا،فَتَنَازَلُوا لِأَحِبّتِكُمْ وَسَامِحُوهُمْ قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُوهُمْ}،وَقَالَ الدُّكْتُورُ عَلِيّ الطّنْطَاوِيّ–رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى–:

{تَمَسّكُوا بِأَحِبّتِكُمْ جَيّدًا، وَعَبّرُوا لَهُمْ عَنْ حُبّكُمْ، وَاغْفِرُوا زَلّاتِهِمْ فَقَدْ تَرْحَلُونَ أَوْ يَرْحَلُونَ يَوْمًا وَفِي الْقَلْبِ لَهُمْ حَدِيثٌ وَشَوْقٌ ، وَاحْذَرُوا أَنْ تَخِيطُوا جِرَاحَكُمْ قَبْلَ تَنْظِيفِهَا مِنَ الدّاخِلِ ،نَاقِشُوا، بَرّرُوا، اشْرَحُوا، اعْتَرِفُوا، تَنَازَلُوا، فَالْحَيَاةُ قَصِيرَةٌ جِدًّا لَا تَسْتَحِقّ الْحِقْدَ، الْحَسَدَ، الْبُغْضَ، قَطْعَ الرّحِمِ، غَدًا سَنَكُونُ ذِكْرَى فَقَط، وَالْمَوْتُ لَا يَسْتَأْذِنُ . ابْتَسِمُوا وَسَامِحُوا مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكُمْ}.

•فَاللّهُمّ ارْحَمْ أَرْوَاحَ أَحْبَابِنَا الّتِي تُعَانِقُ التُّرَابَ،وَاجْعَلْ قُبُورَهُمْ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنّةِ،وَاغْفِرْ لَنَا تَقْصِيرَنَا،وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا،

وَآتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا،وَزَكّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكّاهَا،أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا،وَصَلِّ وَسَلّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمّدٍ وَآلِهِ كُلّمَا ذَكَرَكَ الذّاكِرُونَ،وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِكَ الْغَافِلُونَ،وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

•كَتَبَهُ:

خَادِمُكُمْ وَمُحِبُّكُمْ فِي اللّهِ أبُو أحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمّد الذّهَبِيُّ غَفَرَ اللّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.



صفحة الشيخ وكتبه علي موقع نور

https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%AE-%D8%B3%D9%8A%D8%AF-%D8%B9%D8%A8%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D8%B7%D9%8A-%D8%A8%D9%86-%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%87%D8%A8%D9%8A-pdf

مع تحيات

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية نال شرف تأسيسها والإشراف الفني عليها

الكاتب الإسلامي المصري سيد مبارك